

نقد شيخ الإسلام ابن تيمية لتفسير قوله تعالى: «أفمن كان على بينة من ربه» [هود: ١٧] - عرض وتحليل أ. عمر بن عبد العزيز بن علي العثيم

اعتمد للنشر في ١٤٤٧/١/٩ هـ

سلم البحث في ١٤٤٦/١٢/٧ هـ

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث عرضاً وتحليلاً لنقد شيخ الإسلام ابن تيمية لتفسير قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمَنْ قَلَّ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً» [هود: ١٧]، ويهدف إلى بيان منهجه النقدي في الترجيح بين أقوال المفسرين حول هذه الآية، التي أشكلت على كثير من العلماء بسبب تعدد الضمائر فيها، واختلاف معاني بعض المفردات، وقد قسم البحث إلى مبحثين رئيسيين هما: الأصول النقدية عند ابن تيمية: حيث استند ابن تيمية في ترجيحاته على القرآن الكريم، والسنة النبوية، واستشهد بأقوال السلف مع نقد الأسانيد الضعيفة المنسوبة لبعضهم، كما استفاد من دلالة السياق، وأحوال النزول، واللغة العربية، واستعمل القرائن التاريخية والعقلية لتدعيم أقواله. الأساليب النقدية: حيث استخدم ابن تيمية في نقده أسلوب الترجيح والتضعيف مدعوماً بالأدلة، واعتمد على التتبع والاستقراء للنصوص القرآنية المماثلة لتقوية رأيه، وأكثر من البيان والإيضاح لتفصيل معاني الضمائر والمفردات، وإبراز شمولية بعض المعاني.

Summary of the Research

This study presents and analyzes Shaykh al-Islam Ibn Taymiyyah's critique of the interpretation of Allah's saying:

"Is he who stands on a clear proof from his Lord, and a witness from Him follows him, and before it the Book of Moses as a guide and mercy." [Hud: ١٧]

The aim of the study is to clarify his critical methodology in preferring among the views of the commentators regarding this verse, which has puzzled many scholars due to the multiplicity of pronouns it contains and the differing meanings of some of its terms.

The research is divided into two main sections:

The critical foundations of Ibn Taymiyyah:

- Ibn Taymiyyah based his preferences on the Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet.
- He cited the statements of the Salaf (the early generations), while critically examining the weak chains of transmission attributed to some of them.
- He also benefitted from the indication of context, circumstances of revelation, and the Arabic language, and used historical and rational evidence to support his opinions.

Critical methods:

- Ibn Taymiyyah used the methods of weighing and weakening (tarjih and

ta'if), supported by evidence.

- He relied on tracking and inductively studying similar Qur'anic texts to strengthen his view.
- He extensively clarified and explained the meanings of the pronouns and terms, and highlighted the comprehensiveness of certain meanings.

المقدمة:

الحمد لله المتصف بالكمال، المستكمل الصفات والخلال، مفتتح كل جلال، ومرتجى كل سؤال، وإليه المنتهى والمآل، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على النبي الخاتم، وعلى الصحب والآل، ومن سار على دربهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الجزاء والسؤال، أما بعد: فإن فهم معاني كلام الله تعالى هو الطريق الأقوم للانتفاع به، واستخراج حكمه وأحكامه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد عدّ المؤلفون في علوم القرآن علم التفسير من أهم علوم القرآن، والنبي ﷺ هو من أشرق بواكير هذا العلم، وسنّ أصوله وحدوده، قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت ٢٠٤هـ): (جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن)(١).

ولما كان علم التفسير بهذه المثابة، انبرى له علماء الإسلام في كافة العصور، وتتوعدت مشاربهم فيه، فمنهم من اقتصر على جمع الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، ومنهم من أعمل آلة الاستنباط والرأي، ومنهم من دمج ما برع به من العلوم فيه.

وعلى إثر هذا التباين والتمايز في التراث، ظهر أئمة محققون أعملوا آلة النقد بأصوله المأثورة، فميزوا النفيس وأظهروه، ودافعوا السقيم وأنكروه، وقد كان شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ، ممن أوتي فهماً في كتاب الله، وقدرة على تفسيره، وتمييز صحيحه من سقيم، بتأصيلات وضوابط مودعة فيما ألفه في التفسير، وهذا البحث يحاول تحليل منهجه النقدي في تفسير آية من كتاب الله، كثر حولها اختلاف النقاد من المفسرين، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

مشكلة البحث.

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (١٩٠٧/٥).

إن التحليل المنهجي لتفسير شيخ الإسلام لهذه الآية ما زال غير محرر، سيما وأنها من الآيات التي كثر حولها الخلاف، وتفسيره لها يعدُّ من أوسع ممارساته في نقد التفسير، فعمله بحاجة إلى رؤية فاحصة، تفيد في تقبل ترجيحاته، واستتساخ منهجه في آيات أخر.

حدود البحث.

اعتمدت في البحث على ما جمعه الشيخ: إياد بن عبد اللطيف القيسي من تفسير للآية، ضمن كتابه الموسوم بـ (تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير) طبعة دار ابن الجوزي الثانية عام ١٤٤٠هـ.

منهج البحث.

اعتمدت في البحث على المنهج التحليلي.

الدراسات السابقة.

بعد البحث في قواعد البيانات، وأدلة الرسائل، لم أجد دراسة تتفق مع فكرة هذا البحث وموضوعه، وإن كثرت الدراسات التي تناولت جانب النقد التفسيري، أو جانب شيخ الإسلام التفسيري، أذكر منها:

١. نقد الصحابة والتابعين للتفسير، للدكتور/ عبد السلام الجار الله، وهي رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٤٢٨هـ.

٢. الصناعة النقدية في تفسير ابن عطية، للدكتور/ محمد صالح محمد سليمان، وهي رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الأزهر عام ١٤٣٤هـ.

٣. ابن تيمية ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، للدكتور/ ناصر الحميد، وهي رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٤٠٥هـ.

٤. منهج ابن تيمية في تفسير القرآن، للدكتور/ طلحة بن عبد الحميد الحسن، وهي رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم درمان عام ٢٠٠٤م.

وهذه الدراسات إما تتناول موضوع النقد عموماً أو عند أحد المفسرين، وإما تتناول الجانب التفسيري عند شيخ الإسلام ابن تيمية دون الدخول في النقد، والبحث يتناول تحليل النقد عند شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال تفسيره للآية.

خطة البحث.

انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، ثم الفهارس. وفيما يلي بيان مفصل لما احتوى عليه البحث:

أما المقدمة، ففيها مشكلة البحث، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة

البحث.

التمهيد: مفهوم نقد التفسير، وترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفيه:
أولاً: مفهوم نقد التفسير.

ثانياً: ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

المبحث الأول: الأصول النقدية، وفيه:

أولاً: تحرير قول شيخ الإسلام في تفسير الآية.

ثانياً: الأصول النقدية التي استند عليها في تفسير الآية.

ثالثاً: المعايير النقدية المستنبطة من خلال الأصول.

المبحث الثاني: الأساليب النقدية، وفيه:

أولاً: الترجيح والتضعيف بأدلته.

ثانياً: التتبع والاستقراء.

ثالثاً: البيان والإيضاح.

الخاتمة، وفيها أبرز النتائج

فهرس المصادر.

التمهيد: مفهوم نقد التفسير، وترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية

أولاً: مفهوم نقد التفسير.

النقد لغة: مأخوذ من نقد الشيء ينقده نقداً، وانتقد الشيء ينتقده انتقاداً^(١)، وعند التأمل

في كتب أهل المعاجم اللغوية، يمكن إجمال هذه المعاني اللغوية فيما يلي:

١. تمييز الشيء، وإبرازه، وتفسيره، واختباره^(٢).

٢. النقر، والضرب والالتقاط، واللدغ^(٣).

٣. اختلاس النظر إلى الشيء^(٤).

٤. المناقشة^(٥).

(١) ينظر: المخصص لابن سيده (١١١/١)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٢٦٤/٣) للدكتور أحمد مختار عمر.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٦٧/٥)، مادة (ن ق د).

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤٢٦/٣)، مادة (ن ق د)، تاج العروس للزبيدي (٢٣٠ /٩)، مادة (ن ق د).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٦٨/٥) مادة (ن ق د)، تاج العروس للزبيدي (٢٣١/٩) مادة (ن ق د).

(٥) ينظر: الصحاح للجوهري (٥٤٤/٢)، لسان العرب لابن منظور (٤٢٥/٣).

٥. الإعطاء المعجل (١).

٦. العيب والانتقاص (٢).

والأصل في سائر هذه المعاني أنها تعود لتمييز الشيء بمعرفة ماهيته وحقيقته، وما فيه من المحاسن والمعائب، فكلها تناسب أن تكون مفهوماً لغوياً للنقد العلمي. وأما النقد في الاصطلاح فهو: (عملية محاكمة وتقويم، تهدف إلى التصحيح والترشيد، من خلال بيان مواطن الخطأ والصواب، بناءً على مقاييس متفق على حلها أو كلها) (٣).

وأما التفسير لغة: فلفظ التفسير في أصله اللغوي مشتق من مادة فسر (٤)، ويُعنى به الكشف والبيان والإيضاح، وتعريف التفسير في الاصطلاح: هو (بيان معاني كلام الله) (٥).

ويمكن تعريف مصطلح نقد التفسير بأنه: عملية محاكمة وتقويم، لأقوال المفسرين وما يلحق بها، لبيان مواطن الخطأ والصواب، بناءً على مقاييس تتفق وتختلف بين نقاد التفسير.

ثانياً: ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

اسمه ونسبه.

هو الإمام المجتهد، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن الشيخ الإمام المفتي، شهاب الدين أبي المحاسن، عبد الحلیم، بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام، مجد الدين أبي البركات، عبد السلام، بن أبي محمد، عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله، بن تيمية النميري نسباً، الحراني (٦) مولداً، ثم الدمشقي منشأً ومدفنًا، الحنبلي مذهباً (١).

(١) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٥٤٤).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء (٢/ ٩٤٤) مادة (ن ق د).

(٣) أجدبيات البحث في العلوم الشرعية لفريد الأنصاري (ص ٩٨).

(٤) ذكر الزركشي في البرهان أن في أصل اشتقاقه قولين لأهل العلم هما: فسر، أو أنه مقلوب فسر، وتابعه على ذلك السيوطي في الإتيان. ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ١٤٧)، الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ١٩٢)، لكن ما ذكر في المعاجم اللغوية أن أصل اشتقاقه هو مادة فسر فقط. ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٥٠٤)، وكلا الاشتقاقيين بمعنى واحد، والتفسير بعد حذف الحروف الزوائد، يرجع إلى سفر. ينظر: التفسير اللغوي للدكتور مساعد الطيار (ص ١٩).

(٥) أصول في التفسير لابن عثيمين (ص ٢٣).

(٦) نسبة إلى حران، وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أفرس، وهي قصبية ديار مضر، بينها

مولده.

ولد الإمام تقي الدين ابن تيمية في حرّان، وتقع على الشمال الشرقي للجمهورية التركية، وقد أصابها الخراب عند احتلال التتار لها، والذي بسببه رحل آل تيمية وغيرهم عنها (٢).

أما تاريخ ولادته فالراجح أنه ولد يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمئة (٣).

طلبه للعلم، وأبرز شيوخه وتلاميذه.

نشأ شيخ الإسلام ابن تيمية في أسرة متدينة اشتهرت بالعلم والعلماء، فأبوه، وجده، وعم جده، وبعض إخوته، وكثير من أفراد أسرته، ممن اعتنوا بطلب العلم واشتهروا به، وقد كان لذلك تأثير كبير على تكوين شخصية شيخ الإسلام العلمية، مع ما منّ الله به عليه من قوة العقل، وجودة الحفظ والفهم.

كما كان لجملة من مشايخ عصره تأثير عليه في مشواره العلمي، نذكر من أبرزهم:

• الإمام المحدث الفقيه مسند الشام أبو العباس زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد المقدسي (٦٦٧هـ) (٤).

• الشيخ الإمام العلامة الزاهد قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (٦٨٢هـ) (٥).

• الإمام الفقيه القاضي شرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي الشافعي (٦٩٤هـ) (٦).

وأما تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد بلغوا من الكثرة ما فاقوا به تلاميذ غيره من علماء عصره، ومن أشهر تلاميذه رَجْمَةُ اللَّهِ:

وبين الرّها يوم وبين الرّقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، وتقع الآن في الشمال الشرقي لتركيا، ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/٢٣٥)، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبخاري (ص ١٦).

(١) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤/٤٩١)، الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمع محمد عزيز شمس، وعلي العمران (ص ١٠).

(٢) ينظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبخاري (ص ١٦).

(٣) ينظر: العقود الدرية في مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي (ص ٢٨).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/٧٧، ٩١، ١١٠).

(٥) ينظر: البداية والنهاية (١٧/٥٩١)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري (٧/٣٥٨).

(٦) ينظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/١٥).

- الفقيه الحنبلي المجتهد المفسر النحوي الأصولي شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المشهور بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) (١).
- الشيخ الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام ناقد المحدثين شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ) (٢).
- الإمام المحدث الحافظ صاحب الفنون شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الحنبلي (٧٤٤هـ) (٣).
- الإمام العالم الورع المحدث الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزني القضاعي الدمشقي الشافعي (٧٤٢هـ) (٤).
- الإمام الحافظ المؤرخ المفسر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي (٧٧٤هـ) (٥).
- الفقيه الأصولي المحدث شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد المقدسي الراميني الدمشقي (٧٦٣هـ) (٦).

التراث التفسيري لابن تيمية.

كانت قوة عقل ابن تيمية، وحدة ذكائه، وقوة حافظته، الدافع - بعد توفيق الله - لخوضه في التأليف في سائر العلوم الشرعية، ولكنه يخبر عن نفسه أن له ولعاً خاصاً في تفسير القرآن الكريم، فيقول: (ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مئة تفسير ثم أسأل الله الفهم وأقول يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله تعالى وأقول يا معلم إبراهيم فهمني) (٧).

وقد ازداد تعلقه واهتمامه بتفسير القرآن الكريم، بعد سجنه في قلعة دمشق، حيث كان القرآن الكريم شغله الشاغل، تلاوة وتدبراً، وصنّف في أثناء إقامته في السجن الكثير من الرسائل فيه.

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٥٢٣/١٨).

(٢) ينظر: فوات الوفيات لابن شاکر (٣١٥/٣)، ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص ٢٢).

(٣) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١١٥/٥).

(٤) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٧٤/٣)، طبقات الشافعية للسبكي (٣٩٥/١٠).

(٥) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر (٤٤٥/١).

(٦) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٦٥٧/١٨).

(٧) العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي (ص ٤٢).

وقد صنّف ابن تيمية في التفسير مصنفات كثيرة، وهي ما بين كتاب كبير، ورسالة صغيرة، ولكنه لم يصنف تفسيراً جامعاً للقرآن الكريم كاملاً، وكانت هناك عدة محاولات وجهود لجمع تفسيره، سأشير إلى أبرز هذه المحاولات، والجهود(١):

١. كانت المحاولة الأولى على يد علامة العراق محمود شكري الألوسي (١٣٤٢هـ)، فقد وجد في مراسلات بينه وبين الشيخ عبد الله بن أحمد الرواف النجدي (١٣٥٩هـ)، ما يشير لرغبة علامة العراق الألوسي بجمع تفسير ابن تيمية، وهو مخطوط. ٢. ظهرت المحاولة الثانية على يد أحد علماء الهند، وهو الشيخ المحقق: عبد الصمد شرف الدين، في كتابه (مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية)، وفيه تفسير لست سور من القرآن الكريم، وقد أجاد المحقق في ضبط النص وإخراجه، وقد طبع في الهند عام ١٣٧٤هـ.

٣. ثم ظهرت محاولة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد في جمعهم لفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، والجزء المختص للتفسير منها هي المجلدات (١٤، ١٥، ١٦، ١٧)، وفي هذا الجمع تفسير خمسين سورة من سور القرآن، وهو الجمع المشهور المطبوع عدة طبعات، وأشهرها طبعة مجمع الملك فهد عام ١٤١٦هـ؟

٤. ثم قام الدكتور محمد السيد الجليند، بجمع تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (دقائق التفسير)، حيث اشتمل على ما في مجموع الفتاوى من التفسير، وأضاف إليه ٣٠ مقطعاً تفسيرياً من بقية مؤلفات ابن تيمية، وقد طبع عام ١٤٠٤هـ.

٥. ثم قام الشيخ إياد القيسي بجمع تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير)، استوعب فيه كل ما سبق من المحاولات، وأضاف إليها ما تعلق بالتفسير من كتب ابن تيمية المطبوعة، وبعض المخطوطة، فكان مجموع المصادر من كتب ابن تيمية التي اعتمد عليها في جمعه، ٤٦ مصدرًا، وقد طبع عام ١٤٣٢هـ.

النقد التفسيري عند ابن تيمية.

إن النقد التفسيري موهبةً وفن، وشيخ الإسلام ابن تيمية قد يقال إنّ بضاعته النفيسة في سائر العلوم الشرعية، هي النقد، فهو إمام مجتهد، وحافظ متقن، وله جسارة وشجاعة في بيان ما يراه ويعتقده بالدليل والبرهان، وعلم التفسير من أظهر العلوم التي تجلت فيه عظمتة النقدية، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط التالية:

(١) للاستزادة ينظر: مقدمة الشيخ إياد القيسي لتفسير شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٠/١).

١. تزكية العلماء له في النقد التفسيري خاصة.

فمن ذلك تزكية علم الدين البرزالي (٧٣٩هـ) له بقوله: (وكان إذا ذكر التفسير أبهت الناس من كثرة محفوظه وحسن إيراده، وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح، والتضعيف، والإبطال)^(١).

٢. تصريحه بمنهجه النقدي في التفسير.

كقوله لمن سأله تصنيف كتاب شامل في التفسير: (إن القرآن فيه ما هو بين في نفسه، وفيه ما بيّنه المفسرون في غير كتاب، ولكن بعض الآيات أشكلت على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدّة كتب ولا يبين له تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيراً وتفسيراً نظيرها بغيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل؛ لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها)^(٢).

٣. تأصيله لقواعد نقدية تعين على تفسير القرآن.

فليس تناوله للتفسير مجرد نقل للأقوال، وإنما يقعد أثناء معالجته للتفسير ما يعين على فهم المراد في الموضع المفسر، وفي غيره من المواضع، ومن ذلك: قوله: (ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم)^(٣).

٤. العصر الذي ظهر فيه.

فهذه الثروة التفسيرية التي خلفها ابن تيمية، ظهرت بعد ظهور أمهات كتب التفسير بقرون، وذلك في القرن السابع الهجري، فكان نتاجه التفسيري آخذاً بعين الاعتبار ما سبقه من التفاسير، وهي بحر لا ساحل له، تنوعت فيها المناهج والاتجاهات والأساليب.

﴿أَقَمَّنْ كَانَ عَلَىٰ نَبِيَّةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً
أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَآلِنَارٌ مَّوعِدَةٌ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]

المبحث الأول: الأصول النقدية

أولاً: تحرير قول شيخ الإسلام في تفسير الآية.

(١) العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي (ص ٢٠).

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لابن رشيق (ص ٢٢١).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨٦/٧).

لتحرير محل الخلاف من الآية، ثم تحرير قول شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيرها، نستعرض ما كتبه رَحِمَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ، حيث يقول: (وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وهذا يعم جميع من هو على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه، فالبينة العلم النافع والشاهد الذي يتلوه العمل الصالح، وذلك يتناول الرسول ومن اتبعه إلى يوم القيامة، فإن الرسول على بينة من ربه، ومتبعيه على بينة من ربه، وقال في حق الرسول: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال في حق المؤمنين: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤]، فذكر هذا بعد أن ذكر الصنفين في أول السورة فقال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١-٣]، إلى قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾... ثم قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، والضمير في (منه) عائد إلى الله تعالى أي: ويتلو هذا الذي هو على بينة من ربه شاهد من الله. والشاهد من الله كما أن البينة التي هو عليها المذكورة من الله أيضاً... وهذا الشاهد من الله هو القرآن... ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ معناه يتبعه كما قال: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، أي: يتبعونه حق اتباعه. وقال: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا﴾ [الشمس: ٢]، أي تبعها، وهذا قفاه إذا تبعه، وقد قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ [الإسراء: ٣٦]...

ولهذا قال: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، فقوله: ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ يعود الضمير إلى الشاهد الذي هو القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِن عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ- وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] الآية، ثم قال: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الآية، فقوله: ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ الضمير يعود إلى القرآن أي: من قبل القرآن كما قاله ابن زيد، وقيل: يعود إلى الرسول كما قاله مجاهد وهما متلازمان، وقوله: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ﴾ فيه وجهان قيل: هو عطف مفرد. وقيل: عطف جملة. قيل المعنى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ ويتلوه أيضاً من قبله كتاب موسى، فإنه شاهد يمثل ما شهد به القرآن، وهو شاهد من الله، وقيل: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ﴾ جملة؛ ولكن مضمون الجملة فيها تصديق القرآن كما قال في الأحقاف. وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يدل على أن قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ تتناول المؤمنين، فإنهم آمنوا بالكتاب الأول والآخر، كما تتناول النبي ﷺ،

وأولئك يعود إليهم الضمير، فإنهم مؤمنون به بالشاهد من الله، فالإيمان به إيمان بالرسول والكتاب الذي قبله^(١).

النصوص أعلاه مجتزأة من تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية للآية، بهدف تبين قوله في معنى الآية، قبل الدخول في نقده التفسيري لها، فمن خلال هذا النص، يتبين لنا أن ثمة ضmannات متعددة في الآية، يظهر معنى الآية بتفسير ما تعود عليه، وهي:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾، فالضمير في ﴿أَفَمَنْ﴾ يعود على من؟
 ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فالهاء في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ وفي ﴿مِّنْهُ﴾ يعود على من؟
 ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ فالهاء في ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ يعود على من؟
 ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ فاسم الإشارة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يشير لمن؟ والهاء في ﴿بِهِ﴾ يعود على ماذا؟

كما أن في الآية بعض المفردات التي تحتاج إلى بيان، وهي: ﴿بَيِّنَةٍ﴾، ﴿شَاهِدٌ﴾، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، وفيما يلي توضيح لترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية في كل ما سبق، مع موازنته بترجيح إمامين من الأئمة النقاد في التفسير، وهم: الإمام الطبري، والإمام ابن عطية.

ففي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾، يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذه الآية تتناول الرسول ﷺ، وتتناول المؤمنين المتبعين له، فهم على بينة من ربهم، ويدل على دخول المؤمنين المتبعين له في مرجع الضمير بقوله بعد ذلك في نفس الآية ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، فالمؤمنون يؤمنون بالقرآن وبالتوراة، والبيئة في مجموع كلامه تشير إلى العلم والإيمان والهدى.

وأما قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، فالشاهد عنده هو القرآن، ومعنى ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، أي: يتبعه. ومرجع الضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ يعود إلى الله، والمعنى: ويتبع النبي الذي على بينة من ربه _ ومعه المؤمنون _ شاهد من ربه أيضاً وهو القرآن.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾، فالهاء تعود على القرآن، أي: ومن قبل القرآن كتاب موسى، أو أنه يعود على النبي ﷺ، والمعنى: ومن قبل النبي ﷺ كتاب موسى، ولا فرق بين القولين، وفسر العطف إما بعطف مفرد، والمعنى: أفمن كان على بينة من ربه، ويتبعه القرآن، ويتبعه من قبل القرآن أو النبي كتاب موسى، فهو شاهد بمثل ما شهد به القرآن، وكلاهما شاهد من الله.

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٢/٣) (بتصرف).

وإما أن يكون عطف جملة، والمعنى: أفمن كان على بينة من ربه، ويتبعه القرآن شاهداً له، ومن قبل القرآن أو النبي كتاب موسى يشهد لموسى كما شهد القرآن لمحمد ﷺ، ويكون هذا مماثلاً لقوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠]، والتقدير بعد بيان مراجع الضمائر والأسماء في الآية: أفمن كانت هذه حاله كمن لم تكن، أو كمن يريد الدنيا. وترك ذكر ذلك؛ لأن ما بعده دليل عليه.

هذا ملخص قوله رَحِمَهُ اللَّهُ في المراد في موضع الخلاف بالآية، وأما الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ فيرى أن الضمائر تعود على جبريل عليه السلام، فهو على بينة من ربه، وهو التالي للشاهد، حيث إن معنى التلاوة عنده هو القراءة، ويستدل بقوله تعالى في الآية: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ﴾، فجبريل هو من قرأ القرآن والتوراة من قبله، فالبينة العلم والهدى، والشاهد القرآن، والمؤمنون المتبعون لك يؤمنون بالقرآن، إن كفر به المشركون^(١).

وأما الإمام ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ فيرى أن مرجع الضمير في قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ يعود على المؤمنين المذكورين في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، وقد يدخل معهم النبي ﷺ، والشاهد محمد ﷺ، أو جبريل عليه السلام إذا أدخلنا النبي ﷺ في مرجع الضمير ﴿أَفَمَنْ﴾، والضمير في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ للبينه، وهي عنده القرآن، فالمعنى: أفمن كان على بينة من ربه هي القرآن، ويقرأ القرآن محمد ﷺ أو جبريل عليه السلام وهما من الله، ومن قبل القرآن كتاب موسى إماماً ورحمة^(٢).

فقد تبين من خلال موازنة قول ابن تيمية والطبري وابن عطية، أن المواضع التي تفترق من خلالها الأقوال في تفسير الآية، هي: معنى المفردة ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ بين القراءة والاتباع، ومرجع الضمير (أفمن)، بين العودة للنبي وللمؤمنين وبين العودة لجبريل، وتفسير الشاهد، بين القرآن أو النبي ﷺ أو جبريل عليه السلام، وهذا الموازنة تهدف إلى بيان عمق الاختلاف في تفسير الآية، حيث تباينت أقوال ثلاثة من أئمة النقد في التفسير، في بيان معناها.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٣٥٣/١٢).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٩/٣).

كما ورد عن السلف أقوال أخرى في الآية، فمنهم من فسّر الشاهد بأنه لسان النبي ﷺ، أو أنه علي بن أبي طالب ﷺ، والمعنى: ويتلوه شاهد من النبي ﷺ هو لسانه، أو من قرابة النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب ﷺ^(١). وفيما يلي بيان الأصول النقدية التي استند عليها شيخ الإسلام ابن تيمية في ترجيحه لقوله، وتضعيفه للأقوال الأخرى.

ثانياً: الأصول النقدية التي استند عليها في تفسير الآية.

الأصول النقدية في التفسير، هي ما يعتمد عليها المفسر الناقد أثناء معالجته للخلاف التفسيري؛ لتمييز الصحيح من الضعيف، ويصح أن يقال إن غالب هذه الأصول هي عماد لكل العلوم الشرعية، فهي القواعد الكلية التي تشكلت منها هذه العلوم ومنها علم التفسير، ونحاول في هذا القسم بيان الأصول النقدية التي استند عليها شيخ الإسلام ابن تيمية في ترجيحاته السابقة، وفي تضعيفه للأقوال الأخرى، وهي:

أولاً: القرآن الكريم.

فقد استند شيخ الإسلام ابن تيمية على دلالة القرآن الكريم في ترجيحه لمعنى المفردة القرآنية ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، حيث رجّح أنها بمعنى: يتبعه وليس يقرأه كما تقدم، قال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ معناه يتبعه، كما قال: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، أي: يتبعونه حق اتباعه. وقال: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا﴾ [الشمس: ٢]، أي تبعها. وهذا قفاه إذا تبعه، وقد قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ [الإسراء: ٣٦]، فهذا الشاهد يتبع الذي على بينة من ربه فيصدقه ويؤيده ويثبتته، كما قال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُوَادِكُمْ﴾ [هود: ١٢٠]، وقال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقد سمى الله القرآن سلطاناً في غير موضع، فإذا كان السلطان المنزل من الله يتبع هذا المؤمن، كان ذلك مما يوجب قوته وتسلطه علماً وعملاً، وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] (٢).

فدلالة اللفظ على معنى الاتباع ثابتة في القرآن كما في الآيات، وهذا المعنى مقصود قرآني ثابت في عدة آيات، وهو التصديق، والتركية، والتأييد، والتنثيت.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٣٥٦-٣٥٣/١٢).

(٢) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٧/٣).

وفي موضع آخر استند على دلالة القرآن في تأييد معنى كون الشاهد هو القرآن، وذلك في قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ﴾، حيث قال: (ولهذا قال: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ﴾ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، فقوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ يعود الضمير إلى الشاهد الذي هو القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] الآية(١).

فتأييد القرآن بالتوراة ثابت في القرآن في آية الأحقاف، مما يدل على أن الشاهد في الآية هو القرآن.

ثانياً: السنة النبوية.

كما استند شيخ الإسلام ابن تيمية على دلالة السنة النبوية في ترجيحه لمعنى المفردة القرآنية ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، فقد رجح أنها بمعنى: يتبعه وليست يقرأه كما تقدم، حيث يقول: (فتبين أن قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾، يعني هدى الإيمان. ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، أي: من الله. يعني القرآن شاهد من الله يوافق الإيمان ويتبعه، وقال: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾؛ لأن الإيمان هو المقصود؛ لأنه إنما يراد بإنزال القرآن الإيمان وزيادته؛ ولهذا كان الإيمان بدون قراءة القرآن ينفع صاحبه ويدخل به الجنة، والقرآن بلا إيمان لا ينفع في الآخرة، بل صاحبه منافق، كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر"((٢))((٣)).

فاستدل على كون القرآن هو الشاهد، وأنه يتبع من كان على بينة من ربه، أي إيمان وعلم فيؤيده، بدلالة السنة على علاقة المؤمن بالقرآن، وأن الإيمان سابق للقرآن. ثم استدل على سبق الإيمان للقرآن بدلالة السنة فقال:

(وجعل الإيمان من الله كما جعل الشاهد من الله؛ لأن الله أنزل الإيمان في جذر قلوب الرجال، كما في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله أنزل الإيمان في جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن وعلموا من السنة"((٤))((٥)).

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٩/٣).
 (٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٧/٧) (٥٤٢٧) ومسلم في صحيحه (٥٤٩/١) (٧٩٧).
 (٣) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٧/٣).
 (٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٤/٨) (٦٤٩٧) ومسلم في صحيحه (١٢٦/١) (١٤٣)، كلاهما بلفظ: "أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة".

كما استدل بالسنة في ردة على الشيعة مضعفاً قول من يجعل المعنى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، أنه علي بن أبي طالب ؑ حيث يقول: (هذا إن ثبت ذلك عمن نقل عنه، فإن هذا وضده ينقلان عن علي بن أبي طالب ؑ، وذلك أن طائفة من جهال الشيعة ظنوا أن علياً هو الشاهد منه، أي: من النبي ﷺ، كما قال له: "أنت مني وأنا منك"^(١)). وهذا قاله لغيره أيضاً، فقد ثبت في الصحيحين أنه قال "الأشعريون هم مني وأنا منهم"^(٢). وقال عن جليبيب: "هذا مني وأنا منه"^(٣)(^(٤)).

فالحديث وإن جاء بلفظ "أنت مني وأنا منك"، فإنه لا يدل على أن المراد بالآية هو علي بن أبي طالب ؑ؛ فلا دلالة صريحة تدل عليه، فضلاً عن مجيء عدة أحاديث بنفس الصيغة، كما في حديث الأشعريين، وحديث جليبيب.

ثالثاً: السلف.

استند شيخ الإسلام ابن تيمية على دلالة أقوال السلف في ترجيحه أن المقصود بالآية ابتداءً هو النبي ﷺ، ويدخل معه المؤمنون المتبعون له، وأن الشاهد هو القرآن، وأثبت من قال بذلك من أئمة السلف حيث قال: (وقال أبو العالية: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾، هو محمد ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، القرآن. قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية ومجاهد وأبي صالح وإبراهيم وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وخصيف وابن عيينة نحو ذلك^(١)). وهذا الذي قاله صحيح، ولكن لا يقتضي ذلك أن المتبعين له ليسوا على بينة من ربهم، بل هم على بينة من ربهم، وقد قال الحسن البصري: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ قال: "المؤمن على بينة من ربه"^(٢)(^(٣)).

كما استدل على كون القرآن تابع للإيمان بآثار عن السلف، وذلك في ترجيحه لمعنى ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، أي: يتبعه. حيث قال: (وقال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر: "تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازدنا إيماناً". فهم كانوا يتعلمون الإيمان ثم يتعلمون

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٨/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١/٥) (٤٢٥١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٨/٣) (٢٤٨٦) ومسلم في صحيحه (١٩٤٤/٤) (٢٥٠٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩١٨/٤) (٢٤٧٢).

(٥) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥٢٤/٣).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٢٠١٣/٦).

(٧) المصدر السابق (٢٠١٣/٦).

(٨) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٥/٣).

القرآن، وقال بعضهم في قوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، قال: "نور القرآن على نور الإيمان". كما قال: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال السدي في قوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: "نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعهما، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه"^(١).

فتبين أن قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾، يعني هدى الإيمان ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، أي: من الله. يعني القرآن شاهد من الله يوافق الإيمان ويتبعه^(٢).

وفي موضع آخر، توجه نقد شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ما ينسب إلى السلف زوراً في بعض معاني الآية، وذلك في القول إن الشاهد هو علي بن أبي طالب ﷺ حيث يقول: (وروا هذا القول عن علي نفسه، وروي عنه بإسناد أجود منه أنه قال: كذب من قال هذا. قال ابن أبي حاتم: ذكر عن حسين بن زيد الطحان ثنا إسحاق بن منصور ثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله قال: قال علي: "ما من قریش أحد إلا نزلت فيه آية قيل فما أنزل فيك؟ قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾"^(٣). وهذا كذب على علي قطعاً، وإن ثبت النقل عن عباد هذا فإن له منكرات عنه، كقوله: أنا الصديق الأكبر أسلمت قبل الناس بسبع سنين^(٤). وقد روى عن علي ما يعارض ذلك، قال ابن أبي حاتم: ثنا أبي عمرو بن علي الباهلي ثنا محمد بن شواص ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عروة عن محمد بن علي - يعني ابن الحنفية - قال: قلت لأبي: يا أباة ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ إن الناس يقولون: إنك أنت هو. قال: "وددت لو أني أنا هو، ولكنه لسانه"^(٥). قال ابن أبي حاتم: وروي عن الحسن وقاتادة نحو ذلك^(٦).

فالقول المنسوب لعلي بن أبي طالب ﷺ هو من طريق عباد بن عبد الله، وهو متهم بالوضع في الحديث، وقد روي عن علي أيضاً أنه قال: كذب من قال هذا. كما روي من طريق آخر أنه قال: وددت لو أني أنا هو، ولكنه لسانه. مما يؤكد أن الآثار متعارضة، فلا يحتج بها على نسبة هذا القول لعلي أو لغيره.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٠٣/٨).

(٢) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٧/٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢٠١٥/٦).

(٤) هذا حديث موضوع، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣٤١/١)، واتهم بوضعه عباد بن عبد الله.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٢٠١٤/٦).

(٦) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥٢٥/٣).

رابعاً: أحوال النزول.

أحوال النزول تتناول أسباب النزول والمكي والمدني، وهي مما يستدل بها على المعاني، وقد استند شيخ الإسلام ابن تيمية على دلالة مكية السورة في تضعيفه للقول أن (البينة) هي القرآن، حيث يقول: (ولما أنزلت هذه السورة وهي مكية، لم يكن قد نزل من القرآن قبلها إلا بعضه، وكان المأمور به حينئذ هو الإيمان بما نزل منه، فمن آمن حينئذ بذلك، ومات على ذلك كان من أهل الجنة^(١)). فكيف تكون البينة هي القرآن، وهو لم ينزل كاملاً حين نزول الآية، فدلالته على الإيمان والعلم أقوى.

خامساً: السياق.

وقد استند شيخ الإسلام ابن تيمية على دلالة السياق في تضعيفه للقول أن الشاهد في الآية هو لسانه، حيث يقول: (ومن قال: الشاهد لسانه. وجعل الضمير المذكور عائداً على القرآن، ولم يذكر؛ لأنه جعل البينة هي القرآن، ولو كانت البينة هي القرآن لما احتاج إلى ذلك، وقد قال: على بينة من ربه فقد ذكر أن القرآن من الله، وقد علم أنه نزل به جبريل على محمد، وكلاهما بلغه وقرأه، فقوله: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، جبريل أو محمد، تكرير لا فائدة فيه؛ ولهذا لم يذكر مثل ذلك في القرآن، وأيضاً فكونه على القرآن لم نجد لذلك نظيراً في القرآن^(٢)). وقال في موضع آخر: (والقرآن لم يتقدم له ذكر إنما قال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾، والبينة لا يجوز أن يكون تفسيرها بحفظ القرآن فإن المؤمنين كلهم على بينة من ربهم وإن لم يحفظوا القرآن^(٣)).

فقد استند على سياق الآية في تضعيف القول أن الشاهد لسانه؛ لانهم يجعلون البينة هي القرآن، والقرآن لم يرد له ذكر في الآية، وعلى فرض أن البينة هي القرآن، فإنه علم أنه من الله، أنزله جبريل على محمد ﷺ وكلاهما قرأه وبلغه، وهذا معلوم من قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ على قولهم، فيكون التالي جبريل أو محمد معنى مكرراً، فضلاً عن كون هذا المعنى لم يرد في القرآن، فاستدل بسياق القرآن عموماً على تضعيف المعنى.

سادساً: اللغة العربية.

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٤/٣).

(٢) المصدر السابق (٥١٤/٣).

(٣) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥٢٦/٣).

استند شيخ الإسلام ابن تيمية على دلالة اللغة العربية في بيان معنى واشتقاق (بينة)؛ ليدل بها على المعنى الذي يرجحه، وهو الهدى والإيمان، حيث يقول: (ولهذا جعل الإيمان بينة، وجعل القرآن شاهداً؛ لأن البينة من البيان والبينة: هي السبيل البينة، وهي الطريق البينة الواضحة، وهي أيضاً ما يبين بها الحق، فهي بينة في نفسها مبينة لغيرها)(^١).

فالمعنى اللغوي، واشتقاق الكلمة تدل على معنى الهدى والإيمان، الذي يتبين ويزداد نوراً بالقرآن، فهو الشاهد التابع.

وفي موضع آخر دلل على قوله في المراد ب ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، بمعناها اللغوي، حيث قال: (إنما أتوا من جهة قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، فظنوا أن تلاوته هي قراءته، ثم جعل هذا يقول جبريل تلاه، وهذا يقول محمد، وهذا يقول لسانه، والتلاوة قد وجدت في القرآن واللغة المشهورة بمعنى الاتباع)(^٢).

سابعاً: القرائن.

نقصد بالقرائن في التفسير، الأحوال المحتفة بالنص القرآني، التي تثير المعنى، وتدعم القول المختار عند الاختلاف، وقد استند شيخ الإسلام ابن تيمية على القرائن في عدة مواضع من تفسيره للآية، فمن ذلك:

استناده على قرينة عقلية تضعف القول أن الشاهد هو لسانه أو علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث يقول: (وأما قول من قال: الشاهد من نفس المذكور، وفسره بلسانه أو بعلي بن أبي طالب، فهذا ضعيف؛ لأن كون شاهد الإنسان منه لا يقتضي أن يكون الشاهد صادقاً، فإنه مثل شهادة الإنسان لنفسه، بخلاف ما إذا كان الشاهد من الله، فإن الله يكون هو الشاهد، وهذا كما قيل في قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]، إنه علي فهذا ضعيف؛ لأن شهادة قريب له قد اتبعه على دينه، ولم يهتد إلا به، لا تكون برهاناً للصدق، ولا حجة على الكفر)(^٣).

فالقرينة التي تدفع القول أن المراد لسانه أو علي، أنهما لا يفيدان في الشهادة، فلسانه منه، وهذا أشبه بشهادة الإنسان لنفسه، وعلي بن أبي طالب عليه السلام قريبه، وآمن به، فشهادته غير معتبرة، فخلاف اعتبار عودة الضمير في ﴿مَنْتَهُ﴾ على الله تعالى، فإنه يشهد، وكفى به شهيداً.

(١) المصدر السابق (٣/٥١٨).

(٢) المصدر السابق (٣/٥٢٧).

(٣) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٣/٥١٣).

كما استند على قرينة عقلية ترجح أن البيئة هي الإيمان، وأن الشاهد الذي يتبعه وهو القرآن، حيث يقول: ((فتبين أن قوله: ﴿أَقْمَنَ كَأَن عَلِيَّ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّيَّ﴾، يعني هدى الإيمان. ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، أي: من الله. يعني القرآن شاهد من الله يوافق الإيمان ويتبعه، وقال: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾؛ لأن الإيمان هو المقصود؛ لأنه إنما يراد بإنزال القرآن الإيمان وزيادته؛ ولهذا كان الإيمان بدون قراءة القرآن ينفع صاحبه ويدخل به الجنة، والقرآن بلا إيمان لا ينفع في الآخرة، بل صاحبه منافق^(١).

فإذا كان مقصود القرآن، الإيمان وزيادته، فجعله هو الشاهد التابع للإيمان المكمل له أولى، والإيمان يصح بلا قرآن بخلاف العكس.

كما استند شيخ الإسلام ابن تيمية على قرينة تاريخية، وذلك في تضعيف القول أن الشاهد هو علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول: (ردا على من قال من الجهلة: إنه علي. فإن هذه السورة نزلت بمكة، وعلي كان إذ ذاك صغيراً لم يبلغ)^(٢).

فكيف يكون هو الشاهد، وهو صغير لم يبلغ، وهي تدل بسياقها على أن شهادة الشاهد حاصلة من لحظة التنزيل، فلا يتصور أن تكون في علي عليه السلام.

ثالثاً: المعايير النقدية المستنبطة من تفسير الآية.

وبعد استعراض هذه الأصول النقدية، المضمنة ما يناسبها من النصوص في تفسير الآية، يمكن استخلاص أهم المعايير النقدية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في توظيف الأصول النقدية، لبيان معنى الآية، وذلك فيما يلي:

١. يستند شيخ الإسلام ابن تيمية على دلالة القرآن الكريم في تثبيت معنى اللفظ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، بمعنى الاتباع؛ لوروده بهذا المعنى في عدة آيات، كما يستند على دلالة المعاني الكلية في القرآن، وذلك باعتبار القرآن تابعاً للإيمان بالتأييد والتثبيت.

٢. استند شيخ الإسلام ابن تيمية على دلالة السنة في بيان أسبقية الإيمان على القرآن، وهو استدلال بعموم السنة على التفسير، والذي يلزم منه إعمال آلة الاجتهاد في ربط الأحاديث بالآيات، وتنزيل النص على المعنى المراد.

٣. تنوع استناد شيخ الإسلام ابن تيمية على أقوال السلف، فنراه يسرد أسماء من اتفق قوله مع قولهم من السلف، كما انتقد ما نسب لعلي بن أبي طالب عليه السلام من الأثر، لعدم ثبوته عنه، وذكر الآثار الأخرى التي تدل على اختلاف القول المنسوب إليه.

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٧/٣).

(٢) المصدر السابق (٥٢٥/٣).

٤. يستدل شيخ الإسلام ابن تيمية بسياق نفس الآية لبيان المعنى، وسياق الآيات السابقة، كما يستدل بسياق عموم القرآن ليدل على ما يراه.
٥. يتضح من تظافر الأصول النقدية التي استند عليها شيخ الإسلام ابن تيمية، عمق آتته النقدية، وقوة عارضته في التفسير، فقد بين القول الراجح عنده بشجاعة، وتابع الأقوال الأخرى المخالفة بالنقد والتضعيف.

المبحث الثاني: الأساليب النقدية

نقصد بالأساليب النقدية، الطرق التي سلكها شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير الآية، للدلالة على المعاني الواردة فيها، ونأخذ بالاعتبار مفهوم نقد التفسير الذي يدل على أن كل ما من شأنه بيان المعنى الصحيح، أو دفع المعنى الخاطيء فهو داخل في نقد التفسير، وهذا بيان للأساليب المسلوكة في تفسير الآية:

أولاً: الترجيح والتضعيف بأدلته.

فقد تبين مما سبق أن شيخ الإسلام ابن تيمية عندما يرجح أو يضعف قولاً في التفسير، فإنه لا يتجاوز ذلك حتى يلحق به دليله من الأصول النقدية التي يستند عليها، فمن ذلك قوله:

(ولهذا جعل الإيمان بينة، وجعل القرآن شاهداً؛ لأن البينة من البيان والبينة: هي السبيل البينة، وهي الطريق البينة الواضحة، وهي أيضاً ما يبين بها الحق، فهي بينة في نفسها مبينة لغيرها)(١).

ومثله قوله: (وأما قول من قال: الشاهد من نفس المذكور، وفسره بلسانه أو بعلي بن أبي طالب، فهذا ضعيف؛ لأن كون شاهد الإنسان منه لا يقتضي أن يكون الشاهد صادقاً، فإنه مثل شهادة الإنسان لنفسه، بخلاف ما إذا كان الشاهد من الله، فإن الله يكون هو الشاهد، وهذا كما قيل في قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]، إنه علي فهذا ضعيف؛ لأن شهادة قريب له قد اتبعه على دينه، ولم يهتد إلا به، لا تكون برهاناً للصدق، ولا حجة على الكفر)(٢).

فاستند في ترجيحه لمعنى البينة على دلالة اللغة العربية، واستند في تضعيفه للقول أن الشاهد هو اللسان أو علي بن أبي طالب ﷺ على قرينة عقلية، تحيل القول به.

ثانياً: التتبع والاستقراء.

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٨/٣).

(٢) المصدر السابق (٥١٣/٣).

عندما يورد شيخ الإسلام معنى معيناً أو دلالة في آية، نجده يتتبع هذا المعنى في القرآن، ويتوسع في ذلك، فمن ذلك:

عندما أثبت أن الشاهد هو القرآن، وأنه من الله، قال: (وأيضاً فتسمية جبريل شاهداً لا نظير له في القرآن، وكذلك تسمية لسان الرسول شاهداً، وتسمية علي شاهداً لا يوجد مثل ذلك في الكتاب والسنة، بخلاف شهادة الله، فإن الله أخبر بشهادته لرسوله في غير موضع، وسمى ما أنزله شهادة منه في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]، فدل على أن كلام الله الذي أنزله، وأخبر فيه بما أخبر شهادة منه، وهو سبحانه يحكم ويشهد ويفتي ويقص ويبشر ويهدي بكلامه، ويصف كلامه بأنه يحكم ويفتي ويقص ويهدي ويبشر وينذر، كما قال: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَأْتِي بِرَبِّي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]، وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وقال: ﴿قُلِ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا بِاللَّهِ يُفُصِّلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وكذلك سمي الرسول هادياً فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] (١).

فقد تتبع شيخ الإسلام ابن تيمية الآيات التي تدعم القول أن الشاهد من الله؛ لكون الله يشهد ويفتي ويقص، فلا مانع من جعل الشاهد الذي هو القرآن من الله، وهو أولى من جعله لسان النبي ﷺ، أو علي بن أبي طالب ؑ.

ثالثاً: البيان والإيضاح.

وجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية لا يكتفي ببيان المعنى من الآية، وإنما يزيد في الإيضاح ويذكر كل ما من شأنه تنميط المعنى، وإفادة القارئ، فمن ذلك قوله: (وقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وهذا يعم جميع من هو على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه، فالبينة العلم النافع والشاهد الذي يتلوه العمل الصالح، وذلك يتناول الرسول ومن اتبعه إلى يوم القيامة، فإن الرسول على بينة من ربه، ومتبعيه على بينة من ربه، وقال في حق الرسول: ﴿قُلِ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال في حق المؤمنين: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٥/٣).

زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ [محمد: ١٤]، فنذكر هذا بعد أن ذكر الصنفين في أول السورة فقال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَطْلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ١-٣]، إلى قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾.

وقال أبو الدرداء: "لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواءهم، ويتركوا ما جاءتهم به أنبياءهم من البينات والهدى". وقال تعالى: ﴿قُلْ هُدَىٰ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، فمن اتبعه يدعو إلى الله على بصيرة، والبصيرة هي البينة، وقال: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فالنور الذي يمشي في الناس هو البينة والبصيرة، وقال: ﴿اللَّهُ نُورٌ أَلْسَمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، قال أبي بن كعب وغيره: "هو مثل نور المؤمن، وهو نوره الذي في قلب عبده المؤمن، الناشئ عن العلم النافع والعمل الصالح". وذلك بينة من ربه، وقال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، فهذا النور الذي هو عليه، وشرح الصدر للإسلام هو البينة من ربه، وهو الهدى المذكور في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، واستعمل في هذا حرف الاستعلاء؛ لأن القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالماً موقناً بالحق، فيكون العلم والإيمان صيغة له ينصب بها، كما قال: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، ويصير مكانة له كما قال: ﴿قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]، والمكان والمكانة قد يراد به ما يستقر الشيء عليه وإن لم يكن محيطاً به، كالسقف مثلاً، وقد يراد به ما يحيط به، فالمهتدون لما كانوا على هدى من ربهم ونور وبينة وبصيرة، صار مكانة لهم استقروا عليها وقد تحيط بهم(١).

فيلاحظ في هذا الموضع من تفسير الآية، توسع شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان معنى البينة الوارد في الآية، وذكره لكل المعاني الدالة على معنى البينة، من النور والهدى والبصيرة، وغيرها، فقط ليثبت أن معنى البينة يتراوح بين هذه المعاني، ولا ينصرف إلى القرآن، وقد يستطرد فيذكر فائدة في أحد الشواهد من الآيات التي

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥١٢/٣).

يذكرها، وأسلوب البيان والإيضاح شائع عند شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير، وفي شتى الفنون.

الخاتمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فبعد ختام هذا البحث المختصر، في تحليل نقد شيخ الإسلام ابن تيمية لتفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَٰ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ٧١] الآية، أوجز فيما يلي أهم وأبرز النتائج التي وقفت عليها:

١. أشكل تفسير هذه الآية على المفسرين، وسبب ذلك يعود إلى مرجع الضمائر في: ﴿أَفَمَنْ﴾ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ ﴿مِّنْهُ﴾ ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾، واسم الإشارة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ والهاء في ﴿بَيْتَةٍ﴾، حيث جاءت مجملة فكثرت المراجع المحتملة لها.

٢. كما ساهم في الإشكال، الاختلاف في معاني المفردات، وهي: ﴿بَيْتَةٍ﴾، ﴿شَاهِدٌ﴾، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، فالخلاف في معناها ليس من قبيل اختلاف التنوع، بل المعنى المختار فيها يتغير معه معنى الآية.

٣. ظهر من تباين الأقوال في تفسير الآية عند شيخ الإسلام ابن تيمية والطبري وابن عطية ما يدل على عمق الخلاف فيها، فهم أئمة نقاد، وقد اختلف تعاطيهم مع مرجع الضمائر، ومعاني المفردات.

٤. الراجح عند شيخ الإسلام ابن تيمية في المقصود بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أنه النبي ﷺ، ويدخل معه المؤمنون المتبعون له، خلافاً للطبري الذي يرى أنه جبريل عليه السلام، وهو على التقريب موافق لقول ابن عطية.

٥. الراجح عند شيخ الإسلام ابن تيمية أن البينة هي العلم والهدى والإيمان، ولم يتضح لي مرادها عند الطبري، وهي عند ابن عطية القرآن.

٦. الراجح عند شيخ الإسلام ابن تيمية أن الشاهد هو القرآن، وهو من الله، خلافاً للطبري الذي يرى أنه جبريل عليه السلام، وخلافاً لابن عطية الذي يرى أنه جبريل عليه السلام أو محمد ﷺ إذا لم يدخل مع المذكورين في بداية الآية.

٧. الراجح عند شيخ الإسلام ابن تيمية أن معنى ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ الاتباع، خلافاً للطبري وابن عطية الذين يريان أنها القراءة.

٨. الراجح عند شيخ الإسلام ابن تيمية أن قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل القرآن كتاب موسى يشهد له، أو يشهد لموسى عليه السلام كما شهد القرآن لمحمد ﷺ، خلافاً للطبري الذي يرى أنه جبريل، ووفقاً لابن عطية.

٩. أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية عن القول أن البينة هي القرآن بسياق الآية، حيث لم يرد ذكر للقرآن فيها، كما استند على المعنى اللغوي للبينة.
١٠. أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية عن القول أن الشاهد جبريل، أو أنه لسانه بسياق القرآن، فلم يرد في القرآن تسمية جبريل شاهداً، وكذلك اللسان.
١١. بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن معنى الاتباع في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ ثابت في القرآن واللغة، وهو معنى مقصود للقرآن حيث يتبع الإيمان بالتأييد والتثبيت.
١٢. استعمل شيخ الإسلام عدة أساليب نقدية في بيان معنى الآية، وهي متنوعة، فبعضها يهدف إلى بيان المعنى الصحيح في الآية، وطرح المعنى الضعيف، كالتزجيج والتضعيف بالأدلة، وبعضها يهدف إلى حسن إظهار القول الصحيح، وحسن تلقيه، كالبيان والإيضاح.
- هذا ما تيسر إيراده، وتهيأ إعداده، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المراجع:

- أبحاث البحث في العلوم الشرعية، المؤلف: الدكتور فريد الأنصاري، الناشر: منشورات الفرقان، الطبعة الأولى.
- الإتيان في علوم القرآن، المؤلف: الإمام جلال الدين السيوطي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤هـ.
- أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، المؤلف: ابن رشيقي، الناشر: دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى.
- أصول في التفسير، المؤلف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى.
- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، المؤلف: عمر بن علي البغدادي الأزجي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة.
- البداية والنهاية، المؤلف: الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الناشر: دار هجر، الطبعة الأولى.
- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى.
- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، الناشر: دار الهداية.
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي ابن أبي حاتم، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثالثة.
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى.

- تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير، المؤلف: إياد بن عبد اللطيف القيسي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: الإمام محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار هجر، الطبعة الأولى.
- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، المؤلف: محمد عزيز بن شمس وعلي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، المؤلف: الإمام أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية.
- ذيل تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- ذيل طبقات الحنابلة، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي الحنبلي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة.
- صحيح البخاري، المؤلف: الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى.
- صحيح مسلم، المؤلف: الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، الناشر: دار هجر، الطبعة الثانية.
- طبقات الشافعية، المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة، الناشر: دار عالم الكتب، الطبعة الأولى.
- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي، الناشر: دار الكاتب العربي.
- فوات الوفيات، المؤلف: محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين، الناشر: دار صادر، الطبعة الأولى.
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر، الطبعة الثالثة.
- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، الناشر: مجمع الملك فهد، ١٤٤٦هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- المخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.
- معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الناشر: دار صادر، الطبعة الثانية.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: دار عالم الكتب، الطبعة الأولى.
- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد

- القادر، محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.
- مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس القزويني الرازي، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
 - الموضوعات، المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: محمد بن عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة، الطبعة الأولى.
 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤلف: يوسف بن تغري بردي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.